

دور محمد علي الجزء الثالث

الكاتب: محمد قطب



الهزيمة الداخلية

لا الهزيمة العسكرية وحدها تصنع هذا في الأمة ذات العقيدة، ولا التخلف العلمي والحضاري والمادي وحده يصنع ذلك، ولا حتى اجتماع الهزيمة والتخلف معاً يمكن أن يؤدي إلى كل ذلك الانهيار..

إنما هي الهزيمة الداخلية، الناجمة من التخلف العقدي
"ولا تهنووا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين"

إن اشتراط الإيمان في الآية الكريمة لا يجع عبئاً! فالإيمان الصحيح وحده هو الذي يحول دون الوهن والحزن في حالة الهزيمة أمام الأعداء، ويحول دون النتائج التي تترتب على الوهن والحزن، وهي الاستسلام للأعداء، والكف عن مقاومتهم والكف عن محاولة منازلتهم من جديد..

والاستعلاء قرين الإيمان.

الاستعلاء على الجاهلية والنظر إليها على أنها جاهلية ولو كانت تملك ما تملك من أدوات النصر العسكري ومن أدوات التمكן المادي في الأرض.

والآية الكريمة ترد المؤمنين إلى الميزان الحقيقى والمعيار الحقيقى.. فحين تكون القضية هي قضية الكفر والإيمان، فالمؤمنون هم الأعلون ولو أصابتهم هزيمة مؤقتة أو ضعف مادى مؤقت، لأن الإيمان بذاته أعلى من الكفر، أعلى منه نفسياً وروحياً وعانياً وأخلاقياً وإنسانياً بمقدار ما يعو الحق على الباطل،

والمنهج الصحيح على المنهج الفاسد، والرؤية الصحيحة على الرؤية الخاطئة، والسلوك المستقيم على السلوك المعوج.

"أَفَمَنْ يَمْشِيْ مَكْبَاهُ عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِيْ سَوْيَا عَلَى صَرَاطِ مَسْقِيمٍ"

هذا من الوجهة النفسية والشعورية والوجدانية التي تمنع الذوبان في العدو، أو الهزيمة الروحية أمامه.

ومن الوجهة العملية حين يستيقن المؤمنون بأنهم هم الأعلون بالعقيدة الصحيحة والمنهج الصحيح - ولو أصابتهم هزيمة مؤقتة أو ضعف مادي مؤقت- فإن هذا اليقين ذاته هو الذي يعينهم على أن يقوموا من كبوتهم، ويسترجعوا قوتهم، ويتأهبوا لمنازلة الأعداء من جديد:

"الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهن فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل"

الإيمان الصادق

الإيمان الصادق إذن، بمفهومه الإسلامي الصحيح، لا بالمفهوم الإرجائي ولا المفهوم الصوفي، ولا المتفلت من التكاليف الريانية، هو الذي يعصم الأمة من الهزيمة الروحية أمام الأعداء، وإسلام القياد لهم، والرضى بالتبعية لهم... فهل كان هذا الإيمان موجوداً بصورته تلك حين اقتحم الصليبيون بلاد الإسلام، وطغوا فيها وأكثروا الفساد؟

كلا بلا شك..

ولو كان موجوداً بصورته تلك، التي نزل بها من عند الله، وعلمتها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه، لما حل بال المسلمين ما حل بهم مهما يكن حالهم من ضعف القوة العسكرية والتخلف في الناحية العلمية والمادية والتنظيمية.. إنما كان الإيمان كفيلاً بأن يبعث الأمة لتزيل عنها ضعفها، وتستدرك تخلفها، وتقوم لمناجزة الأعداء من جديد..

حقيقة كان هناك إيمان من لون ما..

هو الذي جعل الأمة تقاوم الغزو الصليبي، وتجاهده مجاهدة إسلامية، أي تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتنظر إليه على أنه غزو من قبل الكفار لبلاد الإسلام تنبغي مجاهدته وإزالته؛ وتقاوم ما وسعتها المقاومة عملية تنحية الشريعة الإسلامية وإحلال القوانين الوضعية محلها، على أساس أن هذا كفر يخرج الأمة من الملة إلى رضيت به.

كما جاهدت الأمة الإسلامية في مصر حملة نابليون الصليبية، ومنعنته من إحلال قانونه محل الشريعة الإسلامية، كما جاهد المسلمون في الشمال الإفريقي ضد الغزو الصليبي الفرنسي، وفي الهند ضد الغزو الصليبي الإنجليزي، وفي أندونيسيا ضد الغزو الصليبي البرتغالي ثم الهولندي.. وباختصار: في كل مكان واجهت فيه الأمة الإسلامية غزو أوروبا الصليبية لبلادها.

ولكن هذا الإيمان كان قد اعتبره ما بيناه من قبل من الفكر الإرجائي، والاتجاه الصوفي، والتفلت من التكاليف، فضلاً عن تحوله عند العامة إلى مجموعة من الخرافات ومجموعة من التقاليد.. لذلك لم يصمد طويلاً للغزو، رغم بساطة المقاومة التي أبداها في جهاده.. فلما انهار كان انهياره عنيفاً غير معهود من قبل.. وأنهارت معه الأمة وأسلمت نفسها للتياز.

المصدر:

١. محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص 191

الكلمات المفتاحية:

#محمد-علي

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعني بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.